دراسة رسمية تُقدر عدد السعوديين الطالبين للجوء السياسي بـ 50 ألفاً

سلّطت جريمة اغتيال الصحفي جمال خاشقجي، بقنصلية بلاده في إسطنبول التركية (أكتوبر 2018)، والمقيم بالولايات المتحدة، والكاتب في صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية، الأضواء على أوضاع المملكة الداخلية، خصوصاً مسألة حقوق الإنسان. ونبّه اغتيال خاشقجي، الذي نفذه فريق أمني يعمل لدى محمد بن سلمان، إلى التضييق على الحريات، داخل المملكة، ومصادرة أموال التجار ورجال الأعمال. ومنذ تولي ابن سلمان ولاية العهد في 21 يونيو 2017، تحدثت تقارير دولية عن أن البلاد شهدت صعوداً لوتيرة عمليات الاعتقال والقمع، لم يَسلم منها حتى أبناء الأسرة الحاكمة، الذين وفّرت لهم الدولة الحصانة منذ تأسيسها. القمع والبطش والاعتقال دفعت جميعها شرائح واسعة من السعوديين إلى البحث عن سبل للهروب من المملكة، وطلب اللجوء في البلدان الأوروبية والأمريكية. وما يدل على أن الأمر ليس أمراً عرضياً، بل ظاهرة تستفحل مع مرور الأيام، هو تكليف البلاط الملكي جهاتٍ مختصةً بإجراء دراسة عن الأمر. وكشف الكاتب السعودي أحمد العمران لصحيفة "فايننشال تايمز"، نقلاً عن مَصدرين مطّلعين على الأمر، لم يسمهما، أن الدراسة قدّرت أن عدد السعوديين الذين سيطلبون اللجوء السياسي في الخارج سيبلغ نحو 50 ألف شخص بحلول عام 2030.

قمع لم يستثنِ أحداً

وتشير الأرقام التي نشرتها مفوضية الأمم المتحدة للاجئين، إلى أن 755 سعودياً فرّ ُوا من بلادهم وتقدّ َموا بطلبات للحصول على اللجوء في بلدان أخرى عام 2017، مبيناً أن أكثر دول المقصد كانت الولايات المتحدة وكندا وألمانيا. سعد الفقيه، المعارض السعودي البارز، رئيس "الحركة الإسلامية للإصلاح"، اعتبر أن مصادرة الحريات، وسجن النشطاء، والتضييق على حرية التعبير، والاستحواذ على أموال التجار والمستثمرين، من أهم العوامل التي تدفع السعوديين إلى الهروب من بلادهم.

وقال الفقيه: إن "سياسة ابن سلمان استعْدَت واستفزّ َت كل فئات الشعب السعودي، إذ لا توجد شريحة داخل المجتمع اليوم إلا وهي في حالة غضب وغليان، فهو لم يعد يحترم لا شيخ دين، ولا زعيم قبيلة، ولا أعضاء العائلة الحاكمة، ولا أبناء العوائل الأصيلة في البلد، ولا التجار ولا الأعيان ولا المثقفين ولا الأكاديميين". وأضاف الفقيه: "الاستبداد والطغيان اللذان تعيشهما المملكة متعلقان بشخصيته المتعطشة إلى السلطة، فالشيء الوحيد المهم بالنسبة له هو رسوخ قدمه في الحكم، وهو مستعد لفعل أي شيء لتحقيق هذه الغاية، وسحق أي أحد يقف بطريقه". وتابع: "تلك الإجراءات تجعل الأذى يصيب الجميع، وباتت العلاقة مع السلطة مبنيّ َة على العداوة والتوجس، حتى الذين هم بمنأى عن الاحتكاك بالسلطة يشعرون بأنهم في خطر".

فئات تبحث عن سبل للهروب

وأوضح أن المجتمع السعودي توجد به ثلاث فئات تبحث عن سبل للهروب من المملكة: الأولى هي الفئة السياسية التي لها توجهات خاصة لا تتفق مع سياسة ابن سلمان، حتى الفئة التي كانت تعترض ضمن الهامش الذي كان مسموحاً به في العهود السابقة. ويشير إلى أن النظام السعودي قمعي قبل ابن سلمان، ويتم ذلك في إطار سياسة تراعي الموازنات الدينية والقبلية والاجتماعية، لكن في عهده أ ُغلقت كل الأبواب، وأصبح الاعتقال نصيب كل من لا يؤيد حتى لو اتخذ من الصمت ملاذاً.

وأضاف: "أما الفئة الثانية فهي التجار والمستثمرون، الذين ما عادوا يشعرون بالأمان في البلد، بعد ملاحقة أصحاب رؤوس الأموال وابتزازهم. والفئة الثالثة تتكون مِن كل مَن له طموح أو توجّ ُه مستقبلي يمكن أن يتقاطع أو يتعارض مع توجهات النظام، فهناك شعور عام بأن الدور آتٍ على الجميع ما دامت عيون السّ ُلطة ترصد حتى الأنفاس".

واستدرك بالقول: "هذه الفئات لم تكن تفكر قبل ذلك في الهروب إلى خارج المملكة، فالسياسي كان يظنّ أنه قادر على التعايش مع النظام في ظل هامش مراعاة الموازنات". وذكر أن المستثمر لم يكن يدور بخلده أنه يتعرض للتنمر والملاحقة ومصادرة الأموال، حتى لو خسر أمواله فهو في مأمن من السجن والاعتقال والملاحقة.

يشار إلى أن السعودية شهدت كبرى عمليات الاعتقال خارج إطار القانون، في نوفمبر 2017، حين قاد بن سلمان حملة واسعة النطاق تحت عنوان "مكافحة الفساد". واحتُجز في الحملة عشرات الشخصيات السعودية النافذة، مثل الأمير الملياردير الوليد بن طلال، والأمير متعب بن عبد الله، ووزير المالية السابق إبراهيم العساف، حيث تمت تسويات مالية مع بعضهم، وأُطلِق سراحهم، في حين أحيل آخرون - وهم الأقلية - إلى النيابة العامة. وتحدثت تقارير غربية عن أن الحملة محاولة لتحييد ابن سلمان المنافسين السياسيين، خصوصاً أن بعضهم كالأمير متعب بن عبد الله، كان يعتبر آخر العناصر الموجودة من فريق الملك الراحل عبدالله بن عبد العزيز.

وكشفت صحيفة "واشنطن بوست"، يوم 11 يناير 2019، نقلاً عن مصادر سعودية وأمريكية، لم تسمها لكن وصفتها بالمطلعة، أنّ ابن سلمان يواصل الدفع قدماً بحملة قمع المعارضين. وأكدت المصادر أن ابن سلمان يواصل أسلوب حُكمه الاستبدادي، والحملة القاسية التي يشنها بحق المعارضين، بدلاً من تغيير سلوكه المندفع، أو إظهار إشارات تفيد بأنه تعلّم الدرس من تداعيات قتل خاشقجي، كما كانت تأمل الإدارة الأمريكية. ونقلت الصحيفة عن مصدر أمريكي، التقى ولي العهد السعودي، قوله: إن الأخير "يشعر في الداخل بثقة كبيرة، وبأنه يسيطر على زمام الأمور"، موضحاً أنه "ما دامت قاعدة ابن سلمان بأمان، فإنه متأكد من أن لا شيء بإمكانه أن يلحق الأذى به".